المورد

مجلة تراثية فصلية محكمة

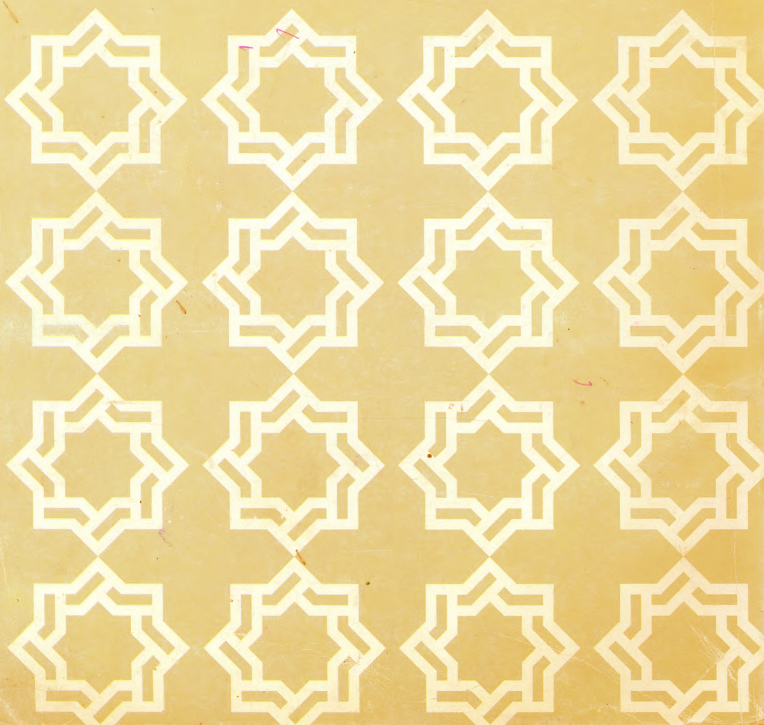

ديوان شعر المتلمّس الضبيّ

عني « بتحقيقه وشرحه والتعليق عليه »
حسن كامل الصيرفي

بقلم الدكتور
ابراهيم السامرائي
كلية الاداب ـ جامعة بغداد

يقع الديوان في ٥٥٨ صفحة ، وهو من سلسلة دواوين اضطلع بنشرها الاستاذ حسن كامل الصيرفي في مجلة معهد المخطوطات العربية في القاهرة .

هذه الدواوين هي : ديوان عمرو بن قميئة(١) وديوان المتلمس وديوان المثقب العبدي(٢) . وقد كان كل ديوان من هذه الدواوين المادة الكاملة لمجلد من مجلدات المجلة المشار اليها ، اي انه يقابل جزئين من اجزاء المجلة .

لقد اشتمل الديوان على مقدمة ضافية وقد كانت في ٥٢ صفحة ثم جاء نص الديوان فكانت عدة صفحاته ٣٢٧ ، ثم جاءت الفهارس العامة فاستهلكت من الكتاب ٢٣٠ صفحة .

ان الديوان برواية الاثرم وابي عبيدة عن الاصمعي ، وقد تهيأ للاستاذ المحقق ، ست مخطوطات وهذا يعني ان عمله احرز جملة المواد الضرورية للتحقيق .

ولابد من الاشارة الى ان الديوان كان قد نشر مرتين : الاولى هي نشرة المستشرق النمساوي كارل فولرس Karl Vollers في سنة ١٩٠٣ في ليبزج ، والثانية نشرة الاب لويس شيخو فقد نشر مجموعة « شعر المتلمس » ثم عاد فاخرج هذه المجموعة ضمن كتابه «شعراء النصرانية» سنة١٩٢٦ .

ان كلا من هاتين النشرتين كان وافيا بالغرض متصفا بالصفة العلمية .

ان الجهد الذي بذله الصيرفي كبير جدا ، وان النظر العابر للديوان يؤيد ما نذهب اليه . لقد جاء في هذا السفر الكبير من الفوائد ما يجعلنا ندرك ان المحقق قد شق على نفسه كثيرا بل جار عليها فكان له هذا العمل الضخم .

قلت : لقد جار المحقق على نفسه وهذا الجور جعله يتنكب الطريق السوي . وها انا اعرض لهذا العمل الكبير مشيرا الى النقاط التي كان في المحقق غنى عنها ، فقد اساءت الى هذا الجهد الكبير .

ان هذا الديوان من الدواوين الصغيرة ذلك ان عدد ابياته ١٥٦ بيتا يضاف اليها ٦٢ بيتا مما نسب الى الشاعر في كتب الأدب المختلفة . واذا عرفنا ان ابا الحسن الاثرم وابا عبيدة قد زوداه بشرح لما ينبغي ان يشرح من الغاظة ادركنا ان الشروح الضافية التي جاء بها المحقق الفاضل قد تجاوز فيها عن الحد الضروري اللازم . وقد كان في هذه الزيادات شيء يبتعد عن النهج العلمي في تحقيق النصوص القديمة . وسأورد من هذا ما اجعل القارىء على بينة مما قلته .

يبتدىء الاستاذ المحقق مقدمة الديوان بقوله : « هكذا نعود مرة اخرى فنضرب في مجاهل التاريخ وراء ظلمات بعضها فوق بعض ، باحثين خلف حجب كثيفة لم يزحزحها على مدى هذه الحقب الطويلة والآماد البعيدة مستكشفون لهم ولع بشق الظلمات

---

(١) نشر الاستاذ خليل العطية هذا الديوان فكانت نشرته جيدة مفيدة كافية ضمن سلسلة كتب التراث التي تصدرها وزارة الاعلام العراقية .

(٢) كان لي ان كتبت عن ديوان المثقب مقالة نشرت في مجلة العرب الجزء السادس من السنة السابعة ١٩٧٣ .

واجتياز الحجب » . اقول قرات هذه العبارات ومضيت فى قراءة المقدمة فوجدتني ابعد ما اكون عن ادراك الصورة الواضحة لسيرة الشاعر . ولعلي اكون مصيبا كل الاصابة اذا قلت ان ما نعرفه من سيرة هذا الشاعر الجاهلي في مصادر الأدب القديم يعطينا صورة اوضح معالم مما نجده في مقدمة الاستاذ المحقق . فهو يضرب في « ظلمات ومجاهل » لا يجد فيها « الدليل » .

لقد تكلم على « اسم الشاعر » فى اكثر من اربع صفحات جاء فيها باقوال مؤرخي الادب المتقدمين ، ثم تكلم على « لقبه » كلاما وافيا ، ثم استرسل في الكلام على نسبه في اكثر من اربع صفحات .

ان المحقق مولع في ان يذكر من سيرة الشاعر ما ليس معروفا في مصادر الادب ، ولذلك فقد اجتهد ان يعطي شيئا عن « حياته الاسرية » « كذا » فقال : كل ما عرفناه عن حياة الشاعر الاسرية ضئيل لا يبل غلة . وهما خبران : احدهما ضعيف السند مشكوك منافيه ، والآخر مقتضب كل الاقتضاب »(١) .

ان الخبر الاول يتصل بزوج الشاعر مأخوذ عن « شعراء النصرانية » لم يقوه الاب شيخو بذكر مصدر معتمد . والخبر الثاني ماذكره ابن قتيبة في « الشعر والشعراء » من ان الشاعر « أتى بصرى فهلك بها . وكان له ابن يقال له عبدالمدان ادرك الاسلام وكان شاعرا ...»(٢) .

ان الاستاذ المحقق مولع بكثرة العنوانات التي اثبتها في مقدمته ذلك انه بعد ان تكلم على « حياته الاسرية » عاد فذكر عنوانا هو « حياة الشاعر » استغرق فيه الكلام اكثر من ست صفحات . ثم جاء بعد ذلك عنوان هو « الشاعر والملك » والملك هو عمرو بن هند ، اعقبه بعد ذلك عنوان هو « ثورة على الملك » .

ويتحدث المحقق حديثا طويلا عن « صحيفة المتلمس » وكيف ان المسالة تشبه من بعض الوجوه القصص اليوناني(٣) .

وكان المحقق قد انتهى عند هذا الحد من سيرة الشاعر . والذي اراه ان هذه المواد التي استهلكت ٣٦ صفحة من المقدمة كان ينبغي الا يكون لها هذا القدر من الصفحات .

ثم يتحدث الاستاذ المحقق عن « الشاعر وشعره » وفي هذا الموضوع جملة اقوال مؤرخي الادب القديم في شعر الشاعر ومنزلته بين الشعراء الجاهليين . ولا ادري ما قيمة قول « كارل بروكلمان » وهو من المستشرقين الالمان في كتابه « تاريخ الادب العربي » ٩٤/١ : « اما شعره فبعضه متعلق بأيام القبائل فى شرقي الجزيرة ، وبعضه فى هجاء ملك الحيرة » .

اقول : ما قيمة هذه العبارة وما جدواها للمحقق — على صدقها — والديوان بين يديه وقد عرفه وعلق على كل صفحة من صفحاته !

ثم يأتي الكلام على مخطوطات الديوان وهو كلام مفيد جدا . وقد شاء المحقق ان يتكلم على الفرق بين « طبعته » والطبعة الاوربية . ولكني اظن ان القاريء لم يستفد كثيرا من امر الطبعة الاوربية ، فقد جاء الكلام موجزا كل الايجاز . وكنت اود ان يتكلم على نشرة الاب لويس شيخو اكثر مما اشتملت عليه حاشيته في الصفحة ٤٩ التي كانت بضع كلمات يسيرة .

اما منهج المحقق في التحقيق فقد اوجزه ايما ايجاز معتمدا على انه تحدث طويلا عن المنهج في المقدمة التي عقدها لديوان عمرو بن قميئة .

ان منهج الاستاذ المحقق فريد فى بابه ، معجز فى بعض الاحيان . اقول : فريد في بابه لانه اخرج الديوان عن كونه ديوانا كسائر الدواوين فهو شرح للديوان على نحو ما صنع ابن ابي الحديد في « شرح نهج البلاغة » وعلى نحو ما صنع البغدادي في « الخزانة » التي كان موضوعها شواهد كافية الرضي الاستراباذي ، وعلى نحو الشروح القديمة لامهات الكتب . وتلك الشروح كتب قائمة بذاتها تبتعد كثيرا عن النصوص التي كانت اساسا لها وان كان شرحه للديوان بعيدا عن اللحاق بقيمة تلك الشروح العلمية .

ان الاستاذ المحقق لم يكتف بالشرح الذي الذي صنعه صاحب الديوان ، وهي رواية الاثرم وابي عبيدة عن الاصمعي ، بل زاد عليها مسائل كثيرة .

ولنأخذ مثلا على ذلك ، لقد جاءت كلمة « الضب » فى بيت من ابيات الديوان فلم يشر اليها الشارح القديم ، فتصدى الاستاذ المحقق فشرح الكلمة فذكر ما جاء في المعجم القديم . ولم يكتف بذلك فقد اضاف اليه ما جاء فى المعجم الوسيط ، ثم لم يكتف بذلك بل اضاف اليها ما جاء في معجم الحيوان للمعلوف . وما اظن ان الكلمة تستحق هذه العناية الفائقة من الشرح المستفيض اذا عرفنا ان المحقق يحقق ديوانا جاهليا وليس كتابا في الحيوان .

قال الاستاذ المحقق فى « منهجه » انه « عايش

---

(١) مقدمة الديوان ص١٨ .
(٢) ابن قتيبة ، الشعر والشعراء ص١٨٢ (دار المعارف) .
(٣) المقدمة ص٣٠

الشاعر معايشة وثيقة والتعرف الى الفاظه وتعبيراته، والربط بين صفحات الكتاب ربطا تاما ، ثم تحمل المعاناة الشديدة في تخريج الابيات من جميع المراجع التي ذكرته ليتبين مدى الاستشهاد به »(١) .

قلت : لم يكن ديوان المتلمس هذا ديوانا كسائر الدواوين بل هو شرح وتحقيق واضافة لفوائد كثيرة . ومجموع هذا لم يكن من واجب اي محقق فقد جاءت الدواوين التي حققها الاستاذ الصيرفي فريدة في بابها ولم يكن بين محققي الدواوين القديمة والنصوص الشعرية من التزم بمثل ما التزم به الاستاذ الصيرفي .

لعل القارىء يتساءل أأصاب المحقق أم قصر في اتباع هذا المنهج الجديد الفريد ؟ اقول : لم يصب الاستاذ الصيرفي في عمله ، ذلك ان فيه شيئا من التزيد والتفريط .

ان من اضافاته التي لم يوفق فيها انه يشرح الكلمة الغريبة فيأتي بجمهرة المعاني المثبتة في المعجم القديم في شرحها .

انه يتحدث مثلا عن كلمة «قوة»(٢) وجمعها قوى فيأتي بمعانيها على النحو الآتي :

القوى « بكسر القاف وضمها » : جمع القوة وهي الخصلة الواحدة من قوى الحبل : وقيل القوة: الطاقة الواحدة من طاقات الحبل او الوتر . وأقوى الحبل والوتر : جعل بعض قواه اغلظ من بعض ، وفي الحديث : يذهب الاسلام سنة سنة كما يذهب الحبل قوة قوة » ومنه الاقواء في الشعر وهو نقصان الحرف من القافية ..... الخ .

اقول : مع علمنا ان الكلمة مما لا يحتاج الى شرحه فضلا عن هذه الافاضة ، فمن الواجب ان اقول : اذا كان الشارح المحقق يفيض هذه الافاضة في معاني هذه الكلمة فهل لي ان اقرر : انه ترك قارئه في حيرة فهو لا يعرف المعنى المراد الذي رمى اليه الشاعر . ثم ماعلاقة الاقواء بالقوة المراد شرحها من حيث الدلالة المعنوية لا القرابة الصرفية ؟

وهل تكون هذه الافاضة في الشرح وغيره مما تجعل المحقق يعايش شاعره معايشة وثيقة ، ولا ادري كيف يتعرف الى الفاظه و « تعبيراته » و « الربط » بين صفحات الكتاب ربطا تاما . اشهد ان هذا من التزيد والتفريط ، واذا لم يكن ذلك فما معنى ان يخرج الابيات فيأتي بصفحات كاملة تحمل اسماء المصادر التي وردت فيها ابيات القصيدة في حين انه يحقق ديوانا قديما يملك منه ست مخطوطات قديمة لانجاز عمله ؟

ولم لا يكون تزيدا وعبثا والمحقق يشرح الكلمة المعروفة الواضحة كأن يشرح النقيصة فيقول التنقص ، وكأن يقول : الاديم من كل شيء جلده ، وتفرى تمزق ، والحلقة كل شيء استدار كحلقة الحديد والفضة والذهب وغير ذلك كثير .

وهو حين يشرح الكلمة التي اضطلع بشرحها الشارح القديم ويسهب في الشرح يستشهد لها بالشعر ، فيحدث ان يكون في الشاهد كلمة صعبة كما هو يراها فيتصدى لشرحها كما فعل في « الولى »(١) وهو المطر بعد الوسمي .....

كقول ابن مقبل كما جاء في « اللسان » .

ليالي بعضهم جيران بعض

بغول فهو مولي مريض

الغول : موضع في شق العراق ، مريض كثرت رياضه . ومثل هذا كثير جدا .

ثم نبتدىء الديوان فنجد : « قال ابو الحسن الاثرم ، قال ابو عبيدة » . وهنا يترجم المحقق لابي عبيدة ، واريد ان اقول ان ابا عبيدة ليس من الاعلام الغريبة ذلك ان كل قارىء للنصوص القديمة يعرف ابا عبيدة معرفة جيدة . ومن اجل ذلك كان كان على المحقق ان يوفر الحاشية للفوائد الضرورية كان يترجم لعلم لا يعرفه الا القليل من القراء كما فعل حين ترجم لابي الحسن الاثرم مثلا .

وفي الصفحة ٤ من الديوان نجد قال ابو عمرو. وهنا يتردد المحقق فيترجم لابي عمرو بن العلاء ثم يترجم لابي عمرو الشيباني مع انه هو المقصود فقد جاء في المخطوطتين ب ، ج في الورقة الاولى « شعر المتلمس رواية ابي الحسن الأثرم عن ابي عبيدة وابي عمرو الشيباني والاصمعي وغيرهم » .

فليس من داع الى التردد ، وليس من حاجة الى ان يقول بعد ان يترجم للاثنين : « ونرجح انه ـ اي الشيباني ـ هو المقصود هنا » .

وفي الصفحة ١٦ نقرا البيت :

احارث انا لو تشاط دماؤنا .....

وهنا يشرح المحقق الكلمة « تشاط » فيقول

(١) المقدمة ص٥.

(٢) الديوان ص٤.

(١) الديوان ص٢٥٨

نقلا عن «الصحاح» : «وشاط فلان الدماء اي خلطها .....

ثم يعود فيذكر عبارة «اللسان» فيقول : شيط اللحم او الشعر او الصوف اذا احرق بعضه. وشاط الرجل هلك .

اقول : هذا مثل من امثال كثيرة للافاضة المخلة فى شرح لا يفتقر اليه النص .

وقد روى البيت في «اللسان» برواية «تساط دمائنا » فعاد المحقق يشرح « السوط » بعبارة صاحب « اللسان » فقال : « وساط الشيء سوطا وسوطه : خاضه وخلطه ، وخص بعضهم به القدر اذا خلط ما فيها ، وانشد قول كعب بن زهير

لكنها خلة قد سيط من دمها

اقول : هل من حاجة الى شرح هذه الكلمة وهي لم تثبت فى رواية المخطوطات الست ؟ اما كان من الاولى ان تثبت هذه الرواية التي جاءت في اللسان ويكتفى بذلك ؟ .

وجاء في الصفحة ١٨ قول المحقق فى الحاشية٧

قال الزجاجي في « مجالس العلماء » (٣٢٩) : واصل « دم » دمي على فَعَلَ بتحريك العين . الدليل على ذلك قوله : دميت يد فلان ، وقوله فى التثنية : دميان ، وفي الجمع : دماء » .

اقول : جاءت هذه الحاشية فى التعليق على دماء الملوك وانه شاطها اي خلطها في قول المتلمس :

« احارث انا لو تشاط دماؤنا »

ولكني لا ارى حاجة ان تثبت هذه الحاشية على كلمة « دماء » ويضطر المحقق ان يأتي بهذه المسألة الصرفية التي تتصل بأصل « دم » وانه ثلاثي حذفت ياؤه . ما كان اغناه عن هذا وما اغنى القارىء عن هذا العلم الصرفي الذي يجده الشداة فى اي كتاب مدرسي فضلا عن « مجالس العلماء » للزجاجي .

وجاء في الصفحة ٢٠ : « قال ابو اسحاق » .

فانبرى المحقق يترجم لاثنين ممن كانت كنيتهما ابا اسحاق وهما : ابو اسحاق ابراهيم بن يحيى المبارك اليزيدي وابو اسحاق ابراهيم بن سفيان الزيادي . وقد جاء فى ترجمة الزيادي خبر ذكره القفطي في « الانباه » يشير الى ان الزيادي قد قرأ على الاصمعي بيت المتلمس كما قرأ عليه شعر المتلمس ، وهذا يعني انه المقصود فلا حاجة الى ان يتردد المحقق في تعيين المقصود منهما .

وفى الديوان من الشروح الطويلة ما لا حاجة به وهو كثير جدا . ولا يفوتني ان اذكر مثلا واحدا اختم به هذه المسألة فاقول :

ليس « اللات » وهو من اصنام العرب وآلهتهم مما يحتاج الى شرحه بما يقرب من صفحتين يأتي فيهما المحقق على اقوال القدماء والمحدثين وما يقابل اللات عند البابليين وعند النبط . لو كان الامر يتصل بدراسة في الاصنام لكان ذلك جد مناسب، أما ان يكون ذلك فى شرح « اللات » ترد في بيت جاهلي فذاك امر كبير .

ومن امثلة التزيد ان المحقق يعيد في حواشيه ما ذكره مفصلا فى المقدمة لأن يذكر في الصفحة ٦٣ شيئا يتصل بصحيفة المتلمس التي اسهب في ذكرها، وكان عليه ان يشير اليها محيلا على المقدمة .

ولعل من المفيد ان اشير الى التزيد الذي اتصف جانب من هذا العمل الكبير . ان المحقق اسرف فى الفهرسة فقد خص فهرسا للالفاظ اللغوية . ان هذه الالفاظ لم تكن مواد فنية او مواد حضارية ولكنها تشتمل على جميع الاسماء والافعال والحروف التي استعملت في شعر المتلمس . انك تجد فيها كتب وقرأ ودخل كما تجد سوط وسوق وسيف الى جانب تحت وفوق وامام وفي وعن ورب وما الى هذا .

اقول ليس هذا من العناية بلغة الشاعر وانما هو تضخيم لعمل كان ينبغي الا يتجاوز مئتي صفحة بأي وجه من الوجوه .